إعداد: مبارك عبدالله

د. عبدالله أحمد الفيفي أستاذ الأدب الحديث بجامعة الملك سعود لـ «المجتمع»:

العرب من أكثر الأُمّم معاناة في قراءة النصّ!

اعتبر أن تربية الطفل العربي لا تغرس فيه حب القراءة لا في البيت ولا في المدرسة، ويرى د. عبدالله أحمد الفيفي أستاذ الأدب الحديث بجامعة الرياض في حواره لـ «المجتمع» أن مستقبل القراءة في العالم سيكون إلكترونياً لا ورقياً، وشرح في حواره الآليات التي يجب أن تتبعها الحكومات لتفعيل القراءة في المجتمعات العربية.

أجرت الحوار: انشراح سعدي

● يقول البعض: إن نسبة قراءة الفرد في الوطن العربي تزداد تضاؤلاً يوماً بعد يوم.. ما رأيك؟

- أعتقد أن مستقبل القراءة في العالم عموماً سيكون إلكترونيّاً لا ورقيّاً؛ فإذا كان الأمر يتعلّق بتضاؤل قراءة المطبوع الورقيّ، فهذا في العالم أجمع، لا في العالم العربي فقط، فبإمكان المرء اليوم أن يحصل على مكتبة كاملة في قرص حاسوبيّ، أو يطالعها عبر شبكة الإنترنت.

● لماذا لا تقرأ أمة محمد ﷺ رغم أن أول آية نزلت على سيدنا محمد ﷺ هي: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ (العلق)؟

- نعم، أُمّة «اقرأ.. وارقَ» لا تقرأ ولا ترقَى! وعدم قراءتها تراثٌ عريق، منذ مقولة «العلم في الصدور لا في السطور»، المحفوظ في الذاكرة، المكرور كابراً عن كابر، دون زيادة ولا نقص ولا نقد، لا بل إن عرب اليوم - ولتردّي علاقتهم المزرية بلغتهم العربيّة، ومأزقهم في ازدواج المنطوق والمقروء - هم من أكثر الأُمَم، إن لم يكونوا أكثرها، معاناة في قراءة النصّ المكتوب (dyslexia) ثم جاءت التقنية الحديثة، من حاسوبيّات، وإنترنت، وقنوات تلفزة، وهواتف جوّالة، لتتقلب في دنيا العرب إلى وسائل شفاهيّة أيضاً، تُلهي أكثر من أن تُفيد، كما كان يمكن أن تفعل، فكيف تقرأ أُمّة محمّد ﷺ وهذه حالها؟!

● لمن تقرأ الفئة القليلة؟

- تقرأ لمن قدّم لها ما لذّ وسهل؛ ذلك لأن القراءة تربية وثقافة، وتربية الطفل العربي لا تغرس فيه حُبّ القراءة، لا في البيت، ولا في المدرسة، ففي البيت: الأمّ أُميّة، أو متعلّمة مبرمجة، وفق رؤى محدودة، والأب: إن كان متعلّماً، لم ير في القراءة إلاّ وسيلةً إلى وظيفة، إنْ هو قرأ بعد نيل شهادة دراسيّة ما، قرأ ما يجترّ من خلاله أطياف مخيّلة خرافيّة، أو قرأ للتسلية وتمضية الوقت، ونماذج المدارس التربوية مستنسخات عن تلك الأمّ وذلك الأب، وعليه فأكثر الكتب رواجاً في العالم العربي: الكتب الدينيّة المثيرة - ولاسيما إذا كانت تدور حول الجنّ والعفاريت وعالمهم - ثم كتب الأدب الشعبيّ، وكتب الطبخ!



> **التقنيات الحديثة تلهي أكثر مما تفيد والقراءة معادل وعي حضاري لا يمتلكه العرب**

> **لابد للمؤسسة الثقافيّة العربيّة أن تتجاوز انحصارها بين حدّي الحُريّة المغيبة والإعلام المُعلّب..**

● ما هي الآليات التي يجب اعتمادها من أجل تفعيل القراءة؟

- كان يجب أن تكون المناهج المدرسيّة مرغِّبة في القراءة والاطلاع، مشجّعة عليهما، محفّزة إليهما، وأن تنهض التربية والتعليم على تنمية البنية التساؤليّة في الذهن، وإثارة التفكير والخيال وتذوّق الجَمال، لا على تلقين المدوّنات وتحفيظها. أمّا المؤسسة الثقافيّة العربيّة، فلا بُدّ لها - إن أرادت أن تستحقّ اسمها - أن تتجاوز انحصارها بين حدَّي الحُريّة المغيّبة، والإعلام المُعلّب، من أجل بثّ ثقافيٍّ جادٍّ وفعل إعلاميٍّ مسؤول.

● هل للبرامج التعليمية دور في أن يكون معدل القراءة ٦ دقائق للفرد العربي في العام الواحد مقابل ٢٠٠ ساعة للفرد في أوروبا أو أمريكا؟

- بالتأكيد، فالمدرسة لدينا يغدو الكتابُ فيها عذاباً، يَرسم عن القراءة في وجدان الطفل صورةً كابوسيّة، تُلاحقه منذ نعومة أظفاره، لا يفتكّ منها إلا برَمْي كتابه عُرض الشارع بعد الامتحان! فلا الكتاب المدرسي مشوّق، ولا المعلّم يزيد الكتاب إلاّ ثقلاً، ولا للمكتبة المدرسيّة وجود، والنتيجة أن يكره الطفل القراءة وينشأ على ذلك؛ لذا، لا غرابة ألا يُنافس نسبةَ الأُميّة منافسٌ في عالمنا العربي، إنْ بمعناها الحرفيّ أو الفكريّ أو الحضاريّ، ولا عجب ألا يعدو معدّل قراءة المواطن العربي في السنة دقائق معدودة، ولا أنْ تشير إحصائياتٌ إلى أن المعدّل التراكميّ لقراءة الفرد في العالم العربي في عام كامل: رُبع صفحة - للأمانة، قد تزيد أسطراً أو تنقص! - في حين أن المعدّل العالميّ لقراءة الفرد الواحد يصل إلى أربعة كتب في السنة، وفي أمريكا يصل إلى أحد عشر كتاباً! يَحدث هذا كلّه في عصر جَعَلَ أهلوه يتحدّثون عمّا يُسمّى علم «الببليوثرابيا»، أو العلاج بالقراءة، فهل من علاج للقراءة لدينا قبل العلاج بالقراءة؟!■

الجزائر: القراءة بين سياسة إقصاء الكتاب وعدم القدرة على شرائه

«اقرأ» فعل أمر أصبح مبنياً على الكُره عند الشاب وعلى عدم القدرة عند المثقف، وعلى عدم الرغبة عند آخرين، تعتبر إشكالية القراءة في الجزائر من بين أهم القضايا الثقافية الراهنة التي تطفو على السطح كل مرة دون أن يفصل في أسبابها أو سبل تجاوزها.

الجزائر: خاص - المجتمع

لم تثر إحصاءات كشفت عنها دراسة أعدها الخبير الجزائري في علم المكتبات «كمال بطوش» من جامعة «منتوري» بقسنطينة شرق الجزائر دهشة العاملين في قطاع النشر عندما أوردت أن معدل القراءة في الجزائر لا يتعدى نسبة ٠,٠٠٠٣٪ كما لم تثر أرقام رسمية قدمتها وزيرة الثقافة «خليدة تومي» دهشة العاملين في مجال «صناعة الكتاب» عندما أشارت إلى أنه يوجد في كامل مكتبات القطر الجزائري ما يقارب ١٥ مليون كتاب فقط، وأن نصيب الفرد الجزائري من الكتاب في السنة هو نصف كتاب في انتظار رفع حصته إلى كتابين.

أهل السياسة كرسوا عزوف الجزائريين عن القراءة

يقول الناقد والقاصّ د. سعيد بوطاجين: إن «الكتاب في الستينيات في عهد الرئيس الراحل «هواري بومدين» كان قريباً من الجامعة ومن المؤسسات الثقافية وقريباً من الناس عامة، الكاتب آنذاك كان يطبع في حدود الـ٢٥ ألف نسخة تنفد في وقت قياسي جداً، ونفس الكاتب يطبع الآن ٢٠٠ نسخة تبقى مكدسة في المكتبات الجزائرية. إنها إحدى الإشكاليات التي يجب التفكير فيها جدياً ومحاولة تجاوزها بالبحث في أسبابها». وتأسف لما يحدث في الجزائر من محاولات وصفها بـ«المحترفة» تعمل على محو العقل من أجل إغراق الجزائر في الظلام، وأشار إلى دول عربية وأوروبية مستواها الاقتصادي أقل من مستوى الجزائر، لكن فعل القراءة فيها يدخل ضمن «واجب» الفرد بل «حق» لا يمكن الاستهانة به، والكتاب فيها «قوت يومي» لعامة الناس وليس النخبة منهم فحسب، ويعود ليقف عند علاقة الأستاذ الجامعي بالكتاب قائلاً:

«عندما يصل الأستاذ في الجزائر إلى مرحلة لا يستطيع أن يشتري فيها كتاباً، فهذا يعني أن هناك متاعب حقيقية يجب مواجهتها».

المسؤول عن الثقافة لا يقرأ

ويتهم «بوطاجين» السياسيين بوقوفهم وراء التمييع الذي طال قطاع الثقافة في الجزائر، وتكريسهم لواقع العزوف عن القراءة، حيث يستفهم متعجباً: «إذا كان المسؤول في قطاعات إستراتيجية لا يقرأ كتاباً واحداً في السنة، فكيف نطلب من إنسان بسيط أن يقرأ؟!» مضيفاً: «لقد سبق لي أن حدّثت مسؤولين كباراً في الدولة وبعضهم مسؤول عن قطاعات ذات علاقة بالثقافة والفكر عن كتّاب جزائريين يتداول العالم أسماءهم وترجمت أعمالهم إلى أكثر من عشر لغات، لكنني اكتشفت أن هؤلاء لا يعرفون حتى عناوين الكتب التي أصدرها هؤلاء ومن بينهم «مالك بن نبي»».

معدل القراءة متدن في الأوساط المعربة والفرانكفونية على حد سواء.. لا يتعدى ٠,٠٠٠٣٪





د. عبدالله حمادي

ويرفض د. عبدالله حمادي الباحث والأستاذ الجامعي التعليقات الإعلامية التي تروج لارتفاع نسبة القراءة في الأوساط الفرانكفونية عنها في الأوساط المعربة، ويقول: إن الوضع سيان للجانبين؛ معللاً ذلك بغياب الدراسات الميدانية المتخصصة والموضوعية التي تحيل الباحث على أرقام دقيقة وإحصاءات رسمية يدعم بها رأيه، رغم أنه يعترف أن نصيب الثقافة في الجزائر «هزيل جداً»، ويرى أن قياس مستوى القراءة يجب ألا يكون حبيس جغرافية «العاصمة» وحدها، «فالناس خارج العاصمة يقرؤون وباللغة العربية»، بل إن «٩٠٪ من هؤلاء يقرؤون بالعربية».

ويشير د. حمادي إلى أن المشهد الاجتماعي العام الذي يتحرك فيه المثقف أو القراء بصفة عامة وبالأخص طلبة العلم يسهم في تكريس حالة الإحباط في الوسط الجامعي، «فأنت تجد إنساناً في عالم التجارة الطفيلية لم يقرأ في حياته كتاباً قط، ولم يتعب ولم يسهر الليالي، ولكنه بمجرد أن يعقد صفقة بالهاتف النقال تغدقه هذه الأخيرة بالمال الوفير، في حين لا يجد طالب العلم مقابل ما يشتري به كتاباً غير الاكتفاء بالاطلاع على موضوعات فهرسه في أول أو آخر الصفحة».■